٨١٢: مرسوم شارلمان بخصوص مهاجرين إسبانيين

دانيال ج. كونيغ

دانيال ج. كونيغ، ٨١٢: مرسوم من شارلمان بخصوص مهاجرين إسبانيين، المنشور في: تأريخ العلاقات عبر البحر المتوسط، المجلد ٢، العدد ١ (٢٠٢٠).

DOI: https://doi.org/10.18148/tmh/2020.2.1.23

الملخص: في أبريل ٨١٢م، أصدر شارلمان مرسومًا ينبه فيه مجموعة من القوامس الإفرنجيين إلى معاملة الإسبانيين الذين يعيشون في أراضيهم بإنصاف وأمرهم بإعادة إليهم أراضيهم الفلاحية التي تملكوها بتطويرها (aprisio). بناءً على هذه الوثيقة، يتناول المقال أسباب حركات الهجرة من شبهة الجزيرة الأيبيرية إلى مملكة الإفرنجة المجاورة ويضعها في سياق السياسة الكارولنجية في شمال شرق شبه الجزيرة الأيبيرية.

المصدر

Praeceptum pro Hispanis (2. April 812), ed. Alfred Boretius (MGH Leges, Capitularia regum Francorum 1), Hanover: Hahn, 1883, n. 76, p. 169 (الترجمة: رضا حامد قطب سعد).

In nomine Patris et Filii et Spiritus sancti. Karolus, serenissimus augustus, a Deo coronatus, magnus pacificus imperator, Romanorum gubernans imperium, qui et per misericordiam Dei rex Francorum et Langobardorum Berane, Gauscelino, Gisclafredo, Odilone, Ermengario, Ademaro, Laibulfo et Erlino comitibus.

بسم الأب والابن والروح القدس. من شارلمان، الأغسطس (Augustus، أي: المبجل) المعظم المتوج من قِبل الله والإمبراطور الكبير الجالب للسلام الحاكم لإمبراطورية الرومانيين، وملك الإفرنج واللانجوبارديين برحمة الله، إلى القوامس بيرانوس (Beranus)، وجوسكالينوس (Gauseclinus)، وجيسكلافريدوس (Gisclafredus)، وأوديلو (Odilo)، وإرمانجاريوس (Ermengarius)، وأديماروس (Ademarus)، ولايبولفوس (Laibulfus)، وأرلينوس (Erlinus).

Notum sit vobis, quia isti Ispani de vestra ministeria, Martinus presbiter, Iohannis, Quintila, Calapodius, Asinarius, Egila, Stephanus, Rebellis, Ofilo, Atila, Fredemirus, Amabilis, Christianus, Elpericus, Homodei, Jacentius, Esperandei, item Stephanus, Zoleiman, Marchatellus, Theodaldus, Paraparius, Gomis, Castellanus, Ardaricus, Wasco, Wisisus, Witericus, Ranoidus, Sunicfredus, Amancio,

أن هؤلاء الإسبانيين (Ispani) تحت إشرافكم فإنني أحيطكم علما بما يلي: القسيس مارتن، ويوحنا، وكوينتيلا، وكالابوديوس، وأسيناريوس، وإجيلا، وستيفانوس، وريبيليس، وأوفيلو، وأتيلا، وفريديميروس، وأمابيليس، وكريستيانوس، وإلبيريكوس، وهوموديائي، وجاكنتيوس، وإسبيراندائي، بالإضافة إلى ستيفانوس وزليمان (Zoleiman)، ومارشاتلوس،

Cazerellus Longobardus, Zate, militeis, Odesindus, Walda, Roncariolus, Mauro, Pascales, Simplicio, Gabinus, Solomo presbyter, ad nos venientes suggesserint, quod multas obpressiones sustineant de parte vestra et iuniorum vestrorum. Et dixerunt, quod aliqui pagenses fiscum nostrum sibi alter alterius testificant ad eorum proprietatem et eos exinde expellant contra iusticiam et tollant nostram vestituram, quam per triginta annos seu amplius vestiti fuimus, et ipsi per nostrum donitum de eremo per nostram datam licentiam retraxerunt. Dicunt etiam, quod aliquas villas, quas ipsi laboraverunt, laboratas illis eis abstractas habeatis et beboranias illis superponitis, et saiones qui per fortia super eos exactant.

وتيودالدوس، وبارابايوس، وجوميس، وكاستِلانوس، وأرداريكوس، وواسكو، ويسيسوس، وويتاريكوس، ورانويدوس، وسونكفرِدوس، وأمانكيو، واللانجوباردي كازاريلوس، زاته وجنوده [militeis = milites eius?]، وأوديسيندوس، ووالدا، ورونكاريولوس، وماورو، وباسكاليس، وسيمبليسيو، وجابينوس والقسيس سالومو (Salomo) القادمون إلينا نوَّهوا بأنهم يتعرضون لاضطهادات كثيرة من طرفكم ومن طرف حاشيتكم. وإنهم يقولون إن بعض أهل القرى يشهدون – بعضهم يشهد لبعض –بأن أراضينا الأميرية من ممتلكاتهم، وإنهم يطردون الإسبانيين منها مخالفين للقانون، وبذلك يبطلون حقنا في منح الأراضي (vestituram) الذي مارسناه لثلاثين عاما أو يزيد بينما أولئك الإسبانيون ينتزعون الحصاد من تلك الأرض البور بتصريحنا. وإنهم يزعمون كذلك بأنكم انتزعتم منهم بعض الأراضي التي عملوا عليها بأنفسهم وفرضتم عليهم ضرائب (beboraniae)[1] وأمّرتم عليهم موظفين (saiones)[2] يمارسون عليهم ابتزازًا شديدًا.

Quamobrem iussimus Iohanne archiepiscopo misso nostro, ut ad dilectum filium nostrum Lodoicum regem veniret et hanc causam ei per ordinem recitaret. Et mandavimus illi, ut tempore oportuno illuc veniens et vos in eius presentiam venientes, hordinare faciat, quomodo aut qualiter ipsi Ispani vivere debeant.

لهذا السبب أمرنا رسولنا رئيس الأساقفة يوحنا (Iohanne) بزيارة ابننا العزيز، الملك لويس، وكلفناه بوصف هذا الوضع للملك. وقد أمرناه بأن يذهب إلى هناك في وقت مناسب وأن تأتوا إلى مجلسه ليوضح لكم بأي طريقة وكيف ينبغي أن يعيش هؤلاء الإسبانيون.

Propterea has litteras fieri praecepimus atque demandamus, ut neque vos neque iuniores vestri memoratos Ispanos nostros, qui ad nostram fiduciam de Ispania venientes, per nostram datam licentiam erema loca sibi ad laboricandum propriserant et laboratas habere videntur, nullum censum superponere praesumatis neque ad proprium facere permittatis; quoad usque illi fideles nobis aut filiis

لذلك أمرنا بإصدار هذه الرسائل، وإننا نتوقع بألا تتجرؤوا لا أنتم ولا حاشيتكم على فرض أي ضرائب على هؤلاء الإسبانيين المذكورين الذين أتوا من إسبانيا تحت رعايتنا (ad nostram fiduciam) وامتلكوا أراضي بائرة بتصريح منا ويظهر أنهم استصلحوها، وكذلك نتوقع أن لا تسمحوا بانتزاع ممتلكاتهم منهم. ولأن أولئك قد أبدوا ولاءهم لنا ولأبنائنا حتى

[1] يترجم الباحث دان اللفظ "beboranias" على أنه "مزايا نقدية وعينية": Dahn, *Könige der Germanen*, p. 44. فترجم الباحث ديبرو كلا المصطلحين (beboranias et saiones) كـ "وكلاء": Depreux, Préceptes, p. 31. لمعلومات أكثر عن هذا المصطلح: http://ducange.enc.sorbonne.fr/BEBORANIA (الدخول: ١٤ يونيو ٢٠٢٢).

[2] وهؤلاء مسؤولون من رتبة متدنية تضمنت مهمتهم تحصيل الضرائب. المزيد من البحوث حول هذا المصطلح في: Depreux, Préceptes, p. 31, n. 103. لمعلومات أكثر عن هذه المصطلح: http://ducange.enc.sorbonne.fr/SAIONES (الدخول: ١٤ يونيو ٢٠٢٢).

nostris fuerunt, quod per triginta annos abuerint per aprisionem, quieti possideant et illi et posteritas eorum et vos conservare debeatis. Et quicquid contra iustitiam eis vos aut iuniores vestri factum habetis aut si aliquid eis iniuste abstulistis, omnia in loco restituere faciatis, sicuti gratiam Dei et nostram vultis habere propitiam.

الآن فينبغي تركهم وترك ذريتهم بعدهم دون مضايقة فيما يخص ما امتلكوه طوال ثلاثين عاما في إطار تطويرهم للأراضي المملوكة (aprisio)، وعليكم أن تحافظوا على هذا الوضع. وأي شيء فعلتموه بهم أنتم أو حاشيتكم مخالفا للقانون، أو أخذتموه منهم ظلما فيجب أن تعيدوا كل شيء إلى موضعه إن أردتم التنعم برحمة الله والحصول على رضانا.

Et ut certius credatis, de anulo nostro subter sigillari iussimus. Guidbertus diaconus ad vicem Ercambaldi recognovit. Data IV. Nonas Aprili anno Christo propicio imperii nostri XII, regni vero in Francia XLIV. atque XXXVIII in Italia, indictione quinta. Actum Aquisgrani palacio regio in Dei nomine feliciter. Amen.

ولكي تتأكدوا من ذلك فقد أمرنا بختم الرسالة بخاتمنا. وقد وقعها الشماس جويديبرتوس (Guidbertus) بدلا من إركامبالدوس (Ercambaldus). صادر بتاريخ الرابع من نوناي (nonae، وهي اليوم الخامس أو السابع من الشهر الروماني) أبريل في السنة الثانية عشرة المفضلة لدى المسيح من حكمنا القيصري، وفي السنة الرابعة والأربعين من حكمنا في مملكة الإفرنج والسنة الثامنة والثلاثين من حكمنا في إيطاليا، وفي الدورة الضريبية الخامسة. صادر في القصر الملكي بمدينة آخن، متنعمين باسم الله. آمين.

التأليف والعمل

[١] الوثيقة المذكورة هي مرسوم (praeceptum)[3] أصدره شارلمان في ٢ أبريل ٨١٢م – والذي كان ملكا منذ عام ٧٦٩م واعتلى العرش ملكا وحيدا للإفرنج (rex Francorum) منذ عام ٧٧١م، وملكا للانجوبارديين (rex Langobardorum) منذ عام ٧٧٤م، وتوج ابتداء من عام ٨٠٠م إمبراطور الرومانيين (imperator Romanorum). والأوامر موجهة إلى مجموعة من القوامس (comites) في الجنوب الغربي من مملكة الإفرنج. صحيح أن المرسوم لم يوضح المكان الذي يمارس فيه هؤلاء القوامس سلطتهم، إلا أن دراسات الفئات الاجتماعية (البروسبوغرافية) الصادرة عن فيليب ديبرو (Philippe Depreux) تتيح لنا بشكل عام تحديد المناطق في محيط المدن برشلونة وجرندة وإمبيوريز وقرقشونة وأربونة وآرل، أي في مناطق معروفة بأنها "الثغر الإسباني" (marca hispanica) وسبتمانيا وبروفنس.[4] على أي حال من الواضح أن هؤلاء القوامس قد أثاروا غضب الملك.

---

[3] لشكل الوثيقة انظر: Depreux, Préceptes, pp. 21–22.

[4] لا توجد معلومات حول جوسكالينوس (Gauscelinus) وأرلينوس (Erlinus). أما بيرانوس (Beranus)، فكان قومساً (comes) في مكان غير معروف، ثمّ شارك في العديد من الحملات العسكرية ضد طرطوشة بعد عام ٨٠٤ م. تم تعيينه قومس (comes) برشلونة من قبل شارلمان في تاريخ غير معروف، حيث يمكن التحقق من وجوده حوالي في عام ٨٢٠ م. من غير المؤكد ما إذا كان جيسكلافريدوس (Gisclafredus) نشطًا حول قرقشونة (Carcassonne). تم تحديد أوديلو (Odilo) بشكل متناقض إلى حد القول بأنه قومس (comes) جرندة (Girona). يمكن تحديد أرمانجاريوس (Ermengarius) بالتأكيد على أنه كان قومس مدينة إمبيوريز (Ampurias) .على الرغم من توثيق أديماروس (Ademarus) مشاركاً في الحملات ضد طرطوشة، لا يمكن تحديد هويته بأنه كان قومساً لمدينة نربونة بدون إثارة بعض الشكوك. ويمكن إثبات اشتراك لايبولفوس (Laibolfus) في معركة برشلونة ووجوده لاحقًا في مدينة آرل (Arles)، ولكن لا يمكن تخصيصه قومساً لمقاطعة معينة. أنظر:

المحتويات والإطار التاريخي للمصدر

[٢] كان سبب إصدار هذا المرسوم هو شكوى مجموعة من اثنين وأربعين من الإسبانيين توجهوا للقيصر بسبب المعاملة غير العادلة التي كان يعاملهم بها القوامس (comites) المذكورين ، وحاشيتهم (iuniores) وسكان القرى المحليين (pagenses). يتضح من المرسوم أن هؤلاء الإسبانيين قد غادروا قبل ثلاثين عاما تقريبا، أي في أوائل ثمانينيات القرن الثامن، شبه الجزيرة الإيبيرية واستوطنوا في منطقة حكم الإفرنج. وينطلق كزافييه جيلارد (Xavier Gillard) وفيليب سيناك (Philippe Sénac) من كون هؤلاء مجموعة مهاجرة تشمل إلى جانب المشتكين الاثنين والأربعين كذلك عائلاتهم وخدمهم، أي ما يبلغ حوالي مائة أو مائتي شخص.[5] وليس من الواضح تحديد منطقة منشئهم، كما أنه ليس من المعروف تماما أين استوطنوا في مملكة الإفرنج. فقد كان شارلمان قد منح ف سنة ٧٩٥م شخصا يدعى يوحنا من محافظة (pagus) مدينة برشلونة التي كانت في ذلك الوقت لا زالت تحت سيطرة إسلامية أملاكا في أربونة لشكره على كفاحه ضد "الساراسينيين الهراطقة أو الكفرة" (ereticos sive Saracenos infideles). لذلك يبدو من المحتمل أن يكون قد حدث استيطان في مناطق الغزو الإفرنجي في شبه الجزيرة الإيبيرية وكذلك في سبتمانيا وفي غرب البروفنس[6]

[٣] في ثمانينيات القرن الثامن كان قد سمح شارلمان للإسبانيين بالاستيطان في الأرض البور في جنوب غرب فرنسا وامتلاكها من خلال استصلاحها على مدار ثلاثين عاما مع جعلها إرثا لهم، وهذه العملية الممنهجة لامتلاك الأراضي وردت في المرسوم بإسم "aprisio".[7] يتضح أن هؤلاء المهاجرين الذين من وجهة نظر شارلمان قد أثبتوا أنهم رعية هادئة وموالية في الثلاثين عاما الأخيرة قد وقعوا من فترة ليست كبيرة تحت ضغط القوامس وحاشيتهم (iuniores) والسكان الريفيين (pagenses). والمرسوم لا يحذر القوامس (comites) بالإبقاء على ملكية الأراضي للمهاجرين الإسبانيين دون مساس وبعدم فرض ضرائب عليها فحسب، بل يطالبهم بإعادة الملكيات المصادرة و الرجوع عن عمليات الإجلاء التي تمت.

[٤] ربما تكون علاقة الإسبانيين الطيبة بالملك قد أتاحت لهم مخاطبته مباشرة بخصوص الظلم الذي يعانون منه. ولا يعني بالضرورة مكان إصدار المرسوم بمدينة آخن ولا العبارة المذكورة "القادمون إلينا" (ad nos venientes) حصول لقاء بين الإسبانيين الاثنين والأربعين المذكورين شخصيا وبين القيصر بمدينة آخن.[8] ويمكن للمرء أن يتخيل أن إصدار المرسوم قد حدث فقط بعد لقاء تم خارج آخن مع الإبراطور. ولأن شارلمان لم يكن يسافر كثيرا قبل وفاته بعامين في عام ٨١٤م كما كان يفعل من قبل في السنوات السابقة فإنه يبدو من المتصور وصول مقدمي الشكوى مباشرة لمدينة آخن، وحصولهم هناك على المرسوم بعد صدوره.[9] بالإضافة إلى ذلك

Depreux, *Prosopographie*, § 17, pp. 87– 88 (Ademarus), § 44, pp. 129–130 (Beranus), § 89, p. 188 (Ermengarius), § 119, pp. 216–217 (Gisclafredus), § 187, p. 292 (Laibolfus), § 207, p. 338 (Odilo).

[5] Gillard und Sénac, Hispani, p. 167.

[6] *Die Urkunden Pippins, Karlmanns und Karls des Großen*, ed. Mühlbacher (MGH DD Karol. 1), no. 179, pp. 241–242; Gillard und Sénac, Hispani, pp. 165–166, 167. Lewis, *Development*, p. 70.

يفترض لويس تحولًا جغرافيًا تدريجيًا في تخصيص الأراضي الذي يرتبط بتوسع حكم الكارولينجيين من سبتمانيا الإفرنجية إلى كاتالونيا الإفرنجية.

[7] حول هذا المصطلح (aprisio) وهذا الشكل من أشكال الاستيلاء السلمي للأراضي غير المعمورة، أنظر:

Jarrett, Settling the King's Lands, pp. 320–342; Lewis, *Development*, pp. 70–72.

وحول تصنيف هذا المصطلح (aprisio) في الدراسات حول نظام الإقطاع في أوربا الغربية في هذا العصر، أنظر: Reynolds, *Fiefs*, pp. 109–111.

يحتج لويس بأن هذه الأراضي لم تكن أراضٍ أتلفتهاالحرب، لأن الأعمال الحربية في هذه المنطقة كانت دائمًا قصيرة الأجل ومقتصرة على جزء فقط من جنوب الغال الغربي في وقت واحد. وبالتالي، لم يمكن لأعمال الحرب أن تسبب دمارا واسع النطاق. يفسر لويس وجود الأراضي البور نتيجة الاستخدام الأقل كثافة للأراضي.

ويدعي على أساس بحوث هيجوني في استخدام الأراضي الزراعية من قبل دير مواساك (Moissac) أن الأراضي المحتلة بهذه الطريقة في جنوب غرب مملكة الفرنجة كانت أراضٍ زراعية تم تطهيرها من قبل ولكن تم التخلي عنها بعد ذلك. أنظر:

Lewis, *Development*, pp. 17–19; Higounet, L'Occupation, pp. 301–330.

[8] ومع ذلك، يفترض ديبرو (Depreux) في سياق بحوثه عن القوامس (comites) المذكورين أعلاه أنه تم لقاء حقيقي بين الإسبانيين و شارلمان في مدينة آخن.

[9] بعد عام ٨٠٦ م كان يغادر مدينة آخن فقط لأسباب خاصة وللصيد المعتاد في أردين (Ardennes)، أنظر: Gauert, Itinerar, p. 17.

فإنه مما يحتاج إلى تفكير هنا هو تفسير عبارة "القادمون إلينا" (ad nos venientes) إذا كان يفهم منها الاتصال بالملك من خلال ممثل للمجموعة المشتكية أو الكتابة إليه فقط. وقد ورد أن تطبيق الأحكام القيصرية تضمن أولا بإرسال الرسول الملكي (missus)، رئيس الأساقفة يوحنا الثاني الآرلي (في المنصب قبل ٨١١ إلى ٨١٩م)، ثم من خلال تدخل لويس ابن شارلمان (حكمه ٨١٤ إلى ٨٤٠م) والذي كان في ذلك الوقت ما يزال الملك الثناوي لأقطانيا.

ربط السياق والتحليل والتفسير

[٥] لا بد أن يُفهم المرسوم الصادر في ٢ أبريل عام ٨١٢م على خلفية الأحداث في منطقة الحدود الإفرنجية الأموية وما حولها في المائة عام السابقة. في البداية حدثت غارات إسلامية على المنطقة الإفرنجية، والتي لم تبلغ ذروتها بمعركة تور وبواتيه الشهيرة، بل أدت إلى أربعة عقود من الحكم الإسلامي في أربونة (حوالي ٧١٩–٧٥٩م) التي أنهاها في عام ٧٥٩ فقط بيبين (Pippin)، والد شارلمان (حكمه ٧٥١/٧٥٢–٧٦٨م).[10] كان هناك تمدد كارولنجي إبان حكم بيبين على شبه الجزيرة الإيبيرية قد اتضح عندما عرض عليه حاكم برشلونة وجرندة طبقا لمصادر إفرنجية في عام ٧٥٢م حكم المدينتين.[11] وبتوغل شارلمان على شبه الجزيرة الإيبيرية في عام ٧٧٨م تغير الوضع ضمنيا بحيث استولت قوات كارولنجية بالفعل على مناطق في شمال شرق شبه الجزيرة الإيبيرية وأسست منطقة عازلة ذات حكم كارولنجي حول مدينة برشلونة التي تم فتحها عام ٨٠١م والتي وضعت حجر الأساس لكاتالونيا التي تم تأسيسها لاحقا.[12]

[٦] كان هناك اثنان من المسلمين المعارضين — ابن الأعربي وابن يوسف — قد قصدا شارلمان في عام ٧٧٧م بمدينة بادربورن. وورد في المصادر الإفرنجية والعربية أنهما حثّاه على التدخل في المنطقة وراء جبال البرانس.[13] كانت الظروف غير المستقرة من بين عواقب أخرى نتيجة لضعف السيطرة المركزية في قرطبة عند تولي هشام الأول للسلطة (حكمه ١٧٢–١٨٠هـ/٧٨٨–٧٩٦م) الذي كان عليه أن يتغلب على أخويه سليمان وعبد الله.[14] وعندما اجتاز شارلمان جبال البرانس بقوات من مختلف أجزاء المملكة حصل على بعض الرهائن من القيادة الإسلامية بسرقسطة، لكنه تورط في موجهات حربية مع الباسك والنافاريين غير المسلمين نتج عنها تحطيم بنبلونة على يد شارلمان. وقد كسرت مجموعات من الباسك جيش شارلمان لدى عودته.[15]

---

[10] Kalkbrenner, 719–759: Chronicon Anianense.

[11] *Annales Mettenses priores*, ed. von Simson (MGH SS rer. Germ. 10), a. 752, p. 43.

[12] حول هذا الموضوع برمته انظر كتاب سيناك والجدول الزمني فيه: Sénac, *Carolingiens et al-Andalus*, pp. 13–85, 145–146. لفصل كاتالونيا عن حَيّز الكارولينجيين ، انظر: Zimmermann, Datation, pp. 345–375; Zimmermann, Origines, pp. 237–255.

[13] *Annales Regni Francorum / Annales qui dicuntur Einhardi*, ed. Pertz und Kurze (MGH SS rer. Germ. 6), a. 777–778, pp. 48–51.

أخبار مجموع، تحقيق لافْوَنْتي أَلْكَنتَرَا، ص ١١٢–١١٣ (النص العربي)، ص ١٠٣ (الترجمة الإسبانية).

[14] Dunlop, Hishām I.

[15] في أحداث الأعوام ٧٧٧–٧٧٨ م، أنظر:

Zu den Ereignissen der Jahre 777–778: *Annales Regni Francorum / Annales qui dicuntur Einhardi*, ed. Pertz and Kurze (MGH SS rer. Germ. 6), pp. 48–51; *Annales Mettenses priores*, ed. von Simson (MGH SS rer. Germ. 10), a. 778, pp. 66–67.

للتوثيق العربي الإسلامي لهذه الأحداث ، انظر: König, *Arabic-Islamic Views*, pp. 192–194; Schilling, Karl, pp. 201–221. انظر أيضاً: Sénac, *Carolingiens et al-Andalus*, pp. 51–70; Collins, *Arab Conquest*, pp. 210–217.

أما مدينة بنبلونة، فقد سيطر عليها عقبة بن الحجّادي مدة قصيرة في عام ١٢١هـ/٧٣٩م، ولكن المسلمين طردهم الباسك (الباشكونس) في انتفاضة مسلحة:
Leroy, Pamplona, Sp. 1649; Lévi-Provençal und Huici Miranda, Banbalūna, pp. 1011–1012.

[٧] لم يتلاشَ الاهتمام الكارولنجي بهذه المنطقة بما حدث، خاصة وإن توغل شارلمان في الشمال الشرقي من شبه الجزيرة الإيبيرية لم يضع نهاية للغارات الإسلامية؛ ففي عام ٧٩٣م حدثت غارة إسلامية على سبتمانيا جاءت من الأندلس. ونتج عن ذلك اتصالات كارولنجية ببعض المعارضين من المنطقة الحدودية: فيقال بأن حاكم برشلونة المسلم قد عرض على شارلمان في عام ٧٩٧م الخضوع لحكم شارلمان. في نفس العام استقبل شارلمان شخصا يدعى عبد الله بمدينة آخن، وهو الأخ المذكور فيما سبق للأمير هشام الذي كان قد توفي الآن وعم الأمير الأموي الحالي الحكم الأول (حكمه ١٨٠-٢٠٦هـ/٧٩٦-٨٢٢م). إبان حكم لويس، ابن شارلمان الذي كان منذ عام ٧٨١م ملكا ثناويا لأقطانيا، وكان منذ عام ٧٩١م كذلك ملكا بالغا سن الرشد، حدث توغل تجاه الجنوب الغربي في العديد من الحملات بقيادة الكارولنجيين. وقد وعدت مدينتا وشقة وسرقسطة بخضوعهما مجددا، وهو ما حدث في عامي ٧٩٩ و٨٠٩م، إلا أنهما احتفظتا باستقلالية محددة عن القومس الكارولنجي، أوريولوس (Aureolus) وخلفائه، تحت قيادة عمروس بن يوسف (Amoroz) وهو مسلم ذو أصول مسيحية (مولّد).[16] أما برشلونة وطرطوشة فقد تم ضمها عامي ٨٠١ و٨١١م للحكم الكارولنجي.[17] في نفس الفترة الزمنية حدثت معارك بحرية في المنطقة الغربية من البحر المتوسط وخاصة على جزر كورسيكا وسردينيا. في الأعوام ٧٩٩ و٨٠٧ و٨١٣م حدثت معارك أيضا بين اتحادات أساطيل كارولنجية وأخرى عرّفت بأنها "مورية" التي ليس من الممكن ربطها بمراكز القيادة الإسلامية بشمال أفريقيا أو بشبه الجزيرة الإيبيرية.[18] ويجب أن يفسر اتفاق السلام الذي عقده شارلمان عام ٨١٢م مع الأمير الأموي لقرطبة الحكم الأول على خلفية هذه المناوشات في البر والبحر. ومن المحتمل أنه كان يهدف إلى تأمين المكتسبات فيما يسمى بالثغر الإسباني (marca hispanica) وكذلك نزع شرعية رسمية من قرطبة بخصوص المناوشات البحرية.[19]

[٨] إن هجرة لاجئين إسبانيين في ثمانينيات القرن الثامن الميلادي إلى المناطق التي يحكمها الإفرنج كانت سببا بعد نحو ثلاثين عاما لإصدار المرسوم المذكور في عام ٨١٢م ، يفترض تفسيرها كرد فعل على هذه الاضطرابات التي حدثت في منطقة الحدود الإفرنجية الإسلامية.

[٩] ويتيح لنا تحليل الأسماء في هذا السياق نظرة محددة في تشكيل مجموعة الهجرة. فقائمة أسماء المشتكين الاثنين والأربعين المذكورة في المرسوم تذكر في البداية وفي النهاية لكل منهم لقب "برسبيتر" (presbyter، أي القس). وبعض الأسماء يمكن تفسيرها باعتبارها مسميات وظائف أو سمات شخصية منها "كاستِلانوس" (Castellanus) أي "القائم على القلعة"، و"ريبيليس" (Rebellis) أي "المتمرد". وبعض الأسماء الأخرى لها إيحاءات لغوية وعرقية ودينية: نجد أسماء لاتينية بوضوح مثل أمابلس (Amabilis)، وسيمبليسيوس (Simplicius)، إلى جانب أسماء معروفة ومستخدمة أيضا بمملكة الإفرنج لقديسين مسيحيين مثل مارتينوس (Martinus)، وستيفانوس (Stephanus) ويوحنا (Iohannis) – وذلك الأخير من المحتمل أن يكون هو مستلم الوثيقة الصادرة في عام ٧٩٥م من شارلمان لرجل من برشلونة.[20] ومن اللافت للنظر كثرة الأسماء المرتبطة بلفظ "الله" منها "هومودائي" (Homodei) أي "رجل الله" أو

---

[16] عن عمروس بن يوسف، انظر: Collins, *Caliphs and Kings*, pp. 32–34, 217–218.

[17] *Annales Regni Francorum / Annales qui dicuntur Einhardi*, ed. Pertz and Kurze (MGH SS rer. Germ. 6), pp. 94–135.

[18] *Annales Regni Francorum / Annales qui dicuntur Einhardi*, ed. Pertz and Kurze (MGH SS rer. Germ. 6), pp. 94–139; Guichard, Débuts, pp. 55–76.

[19] *Annales Regni Francorum / Annales qui dicuntur Einhardi*, ed. Pertz and Kurze (MGH SS rer. Germ. 6), a. 812, p. 137: „Pax cum Abulaz rege Sarracenorum facta."

تم تسجيل معاهدة السلام من الجانب العربي من قبل ابن حيان (المتوفي ٤٦٩/١٠٧٦)، الذي يؤرخها قبل وقت قصير من وفاة شارلمان ، لكنه ذكر عامه بشكل غير صحيح على أنه ١٩١/٨٠٦. وفقًا لابن حيان، فإن معاهدة السلام تتعلق بالتعاون بين الكارولينجيين والأمويين في الأندلس لحماية غرب البحر المتوسط من صعود الأدارسة في شمال إفريقيا، أنظر:

König, *Arabic-Islamic Views*, p. 193; Guichard, Débuts, pp. 65–66; Sénac, *Carolingiens et al-Andalus*, p. 76.

[20] باربيرو يعرّف يوحنى هذا دون مزيد من القرائن على أنه يوحنا من مقاطعة (pagus) برشلونة المذكور في دبلومة عام ٧٩٥ م. انظر الهامش 6 أعلاه وأيضاً:

"شخص الله"، و"إسبيراندائي" (Esperandei) أي "راجيا الله" (؟)، و"كريستيانوس" (Christianus) أي "المسيحي" والتي يجب التساؤل بشأنها ما إذا كانت هذه أسماء لمتحولين إلى المسيحية. فيما يخص بعض الأسماء نرى أشكالا قديمة من الأسماء ذات السمة الإيبيرية الرومانية المتأخرة، مثل "جوميس" (Gómez < Gomis) من "قومس" (comes) (؟). بالإضافة إلى ذلك توجد أسماء يمكن تصنيفها باعتبارها أسماء قوطية غربية لأن بعضها كان يحملها من بين أخرين ملوك القوطيون الغربيون قدماء منها اسم "إيجيلا" (Egila) و"ويتيريكوس" (Witericus)، وكذلك ربما اسم "كوينتيلا" (Quintila، قارن بـ Chintila). كما أن بعض الأسماء تبدو ذات أصل إفرنجي مثل "إلبيريكوس" (Elpericus، قارب بـ Chilpericus). أما اسم "فاسكو" (Wasco) فيشير إلى الباسك، الذين يحتمل انتماء "أسيناريوس" (Asinarius) المذكور في المرسوم إليهم بشرط أن يسوى بالقومس الباسكي "أزنار جالينديس الأراجوني" (Aznarius Galindonis de Aragone).[21] وشخص آخر يدعى "كازارلوس" (Cazerellus) أطلق عليه لقب "اللانجوباردي" (Longobardus). كما أن اسم "أتيلا" (Atila) يرتبط عادة بشعب الهون.

[١٠] ومع ذلك ، فإن الأمر الأكثر إثارة للاهتمام هو الأسماء التي يمكن أن تصنف حاملها بأنه شخص ذا انتماء ديني إسلامي (سابق؟) ، كما قد أثبته كزافييه جيلارد (Xavier Gillard) وفيليب سيناك (Philippe Sénac) . وتشمل هذه الأسماء "موروس" (Maurus) و"زليمان" (Zoleiman) وزاته (Zate). يستخدم موروس أيضًا للبربر غير الرومانيين بشمال إفريقيا في المصادر اللاتينية في العصور الوسطى المبكرة. ويشير اسم زليمان إلى اسم "سليمان" وهو الصيغة العربية من اسم الملك سالومو لدى اليهود والذي يحمله شخص آخر في هذه القائمة مكتوب بالصيغة اللاتينية منه فيتميز بذلك جليا عن صيغة الاسم العربية. أما اسم زاته (Zate) فقد قرأه كزافييه جيلارد وفيليب سيناك على أنه الاسم العربي "سعدون"، وقرنوه بأشكال الأسماء اللاتينية زادون (Zadun) وزاتون (Zatun) إلخ.[22] وهناك أكثر من سعدون يمكن إثباته في المصادر في تلك المنطقة في أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع الميلادي: فعلى الجانب العربي يذكر "المقتبس" لابن حيان (توفي ٤٦٩هـ/١٠٧٦م) شخصا اسمه "سعدون الرعيني" بصفته أميرا لمدينة برشلونة إبان غزو الفرنجة للمدينة لكنه لا ينقل أي تفاصيل عن علاقات هذا الأمير سعدون بالكارولنجيين.[23] أما حوليات مملكة الإفرنج (Annales Regni Francorum) فإنها تخبرنا عن عام ٧٩٧م أن زاتون (Zatun) والي برشلونة قد أتى إلى بلاط شارلمان ووكل إليه حكم المدينة.[24] ويزعم المدعو أسترونوموس (Astronomus) وهو كاتب سيرة الملك لويس بأن نفس هذا "الدوق زادو" (Zaddo dux) قد استقبل لويس على أبواب برشلونة عام ٨٠٠م تقريبا، ولكنه لم يسلمه المدينة.[25] وطبقا لما ذكره أسترونوموس فقد تم إقناع زادو بالسير إلى أربونة حيث ألقي القبض عليه ثم تم اقتياده أولا إلى لويس ثم إلى شارلمان.[26] كذلك يذكر إرمولدوس نيجيلوس (Ermoldus Nigellus) في مديحته الشعرية للويس الورع شخصا اسمه "زادون" بصفته حاكما "موريا" على مدينة برشلونة التي فتحها الإفرنج عام ٨٠١م (princeps urbis erat Maurus cognomine Zadun).[27] يحكى في هذه القصيدة إلقاء القبض[28] على "زادون" عند فتح المدينة واقتياده بعد ذلك إلى القيصر.[29] وتضيف حوليات مملكة الإفرنج (Annales Regni Francorum) إلى ذلك في العام

Barbero, Integración, p. 71.

[21] Barbero, Integración, pp. 71–72; Gillard and Sénac, Hispani, p. 168; Depreux, *Prosopographie*, p. 416.

[22] Gillard and Sénac, Hispani, p. 168.

[23] ابن حيّان، السفر الثاني من كتاب المقتبس (المقتبس ٢، الجزء ١)، تحقيق مكّي، ورقة المخطوطة ٩٥ب، عام ١٨٥هـ/٨٠١م، ص ١١٧.

[24] *Annales Regni Francorum / Annales qui dicuntur Einhardi*, ed. Pertz and Kurze (MGH SS rer. Germ. 6), a. 797, p. 100: „Barcinona civitas Hispaniae, quae iam pridem a nobis desciverat, per Zatun praefectum ipsius nobis est reddita. Nam ipse ad palatium veniens domno regi semetipsum cum civitate commendavit."

[25] Astronomus, *Vita Hludowici imperatoris*, ed. Tremp (MGH SS rer. Germ. 64), cap. 10, p. 310: „Cui Barcinnone adpropianti Zaddo dux eiusdem civitatis iamque subiectus occurrit, nec tamen civitatem dedidit."

[26] Astronomus, *Vita Hludowici imperatoris*, ed. Tremp (MGH SS rer. Germ. 64), cap. 13, pp. 312–314.

[27] Ermoldus Nigellus, *Carmina*, ed. Dümmler (MGH Poetae Latini Aevi Carolini 2), v. 315, p. 15, v. 377, p. 17.

[28] Ermoldus Nigellus, *Carmina*, ed. Dümmler (MGH Poetae Latini Aevi Carolini 2), v. 471, 495, p. 20.

[29] Ermoldus Nigellus, *Carmina*, ed. Dümmler (MGH Poetae Latini Aevi Carolini 2), v. 554, p. 22.

٨٠١م أن الإمبراطور أرسل "زادون" إلى المنفى.[30] وبصرف النظر عن التناقضات في الروايات[31] يبدو من غير المؤكد في ضوء ما ذكرنا ما إذا كان من الممكن ضم الوالي السابق لبرشلونة إلى مجموعة المهاجرين الذين ذكرهم المرسوم الصادر عام ٨١٢م. ويبدو من الممكن لكزافييه جيلارد ولفيليب سيناك أن مجموعة من المسلمين من بينهم "سعدون" قد قررت بعد سقوط برشلونة أن تبقى أو بمعنى آخر أن تنتقل إلى المحيط الإفرنجي. وهم يحددون هوية "سعدون" بأنه "زاته" (Zate) المذكور في المرسوم أيضا لأن اسمه في المرسوم ورد مرتبطا بلفظ "militeis" (هكذا!) – والتي يمكن أن تقرأ هنا "الجنود" (milites) أو "جنوده" (milites eius) – وهو ما يؤيد حسب قول جيلارد وسيناك منزلة عسكرية إدارية لا بأس بها لهذا المدعو زاته.[32] من حيث المبدأ لا يعتبر مثل هذا الإنشقاق مما يستوجب رفضه في هذه الحقبة، خاصة وأن شارلمان بين أواخر سبعينات القرن الثامن الميلادي ونهاية القرن الثامن قد استقبل معارضين مسلمين من المنطقة الحدودية في بادربورن، بل و استقبل حتى أحد المعارضين من البلاط الأموي بمدينة آخن.[33]

[١١] بالرغم من كل الشك في أحقية هوية زاته (Zate) بصفته الأمير المسلم الأسبق لمدينة برشلونة فمن المهم أن نؤكد على أن الإسبانيين المذكورين في المرسوم لم يمثلوا مجموعة متجانسة بل كانت مكونة من أناس ذوي أعراق مختلفة ومنشأ ديني مختلف. ويعد من بين هؤلاء المهاجرين تيودولف الأورليانسي (Theodulfus Aurelianensis، في المنصب ٧٩٨ – ٨١٢م) وهو المستشار المقرب من شارلمان، بالإضافة إلى الأسقف أجوبارد الليوني (Agobardus Lugdunensis، في المنصب ٨١٦–٨٤٠م) وكذلك المؤرخ بروديتيوس الطرويشي (Prudentius Trecensis، في المنصب ٨٤٣–٨٦١م)، حتى وإن لم يكن هناك إشارات ملموسة في الحالات الثلاث إلى تاريخ هجرتهم إلى منطقة الحكم الإفرنجي.[34]

[١٢] على هذه الخلفية يطرح السؤال نفسه عن الدافع خلف الهجرة إلى مملكة الإفرنج. ينطلق البحث العلمي السابق من أن هذه الموجة من الهجرة قد دفعتها الرغبة في الهروب من السلطة الإسلامية الموسومة بالعداء للمسيحية.[35] لكن كما قد أكد فيليب ديبرو

---

[30] *Annales Regni Francorum / Annales qui dicuntur Einhardi*, ed. Pertz and Kurze (MGH SS rer. Germ. 6), a. 801, p. 116: „Zatun et Roselmus una die ad praesentiam imperatoris deducti et exilio dampnati sunt."

[31] Mohr, *Wissen über die Anderen*, p. 168.

[32] Gillard and Sénac, Hispani, p. 168: "Rien ne permet de savoir s'il [i.e. Zaddo] passa dans les rangs des chrétiens après la chute de la ville mais le mot *milites* auquel son nom est accolé conduit à supposer que d'autres musulmans se rangèrent du côté des chrétiens. Le fait ne doit pas surprendre dans la mesure où, selon les *Annales Regni Francorum*, ce *Zatum* avait déjà tenté en 797 un rapprochement avec le roi Charles."

[33] Sénac, *Carolingiens et al-Andalus*, pp. 52–53, 66; König, *Arabic-Islamic Views*, p. 193.

[34] Brunhölzl, *Geschichte der lateinischen Literatur*, p. 288 (Theodulf), 415 (Agobard); Girgensohn, *Prudentius und die Bertinianischen Annalen*, p. 1.

[35] يتكلم لويس عن مناطق " تحررت من نير الاحتلال الإسلامي " ("liberated from the Moslem yoke"): Lewis, *Development*, p. 70. ويؤكد جيلار وسيناك أن السياقات السياسية والعسكرية هي التي حددت وتيرة الهجرة:

Gillard and Sénac, Hispani, p. 166: "c'est le contexte politique et militaire qui détermina le rythme de la migration."

ويفترضون بدون دليل أن المهاجرين رفضوا العيش تحت سيطرة المسلمين (refusant la domination musulmane).

على غرار سيناك وجيلار، يدعي ديبرو:

Depreux, Préceptes, p. 23: „Ces *Hispani* avaient fui la domination de l'émirat d'al-Andalus pour se réfugier sous la tutelle franque, c'est-à-dire sous une tutelle chrétienne."

بدون بحث حالة المهاجرين الإسبانيين أنفسهم، وينطلق هان من نفس الدافع: Hen, Charlemagne's Jihad, pp. 33–52.

حتى أن تشاندلر يستشهد بالوثيقة الأصلية، التي تنص على السماح للإسبانيين بامتلاك الأراضي في سبتمبر عام ٧٨٠م. وتتحدث هذه الوثيقة عن إسبانيين "هربوا من سيطرة المسلمين وخضعوا لحكمنا بإرادتهم الحرة والعفوية":

Chandler, Between Courts and Counts, p. 25: "e Sarracenorum potestate se subtrahentes nostro dominio libera et prompta voluntate se subdiderunt."

يعرّف ديبرو، الذي لم يقتبس منه تشاندلر، هذه الوثيقة على أنها إعادة صياغة قام بها المحرر رامون دابادال اي دي ڤينيالس، وبالتالي لا يؤكد ديبرو على صحة الوثيقة. ويعترف دابادال نفسه أنه أعاد صياغة هذه الوثيقة على أساس وثيقتين أُصدرتا لاحقاً، وهي وثيقة لويس الأول (الورع) لعام ٨١٥م (Constitutio) ووثيقة لشارل الأصلع لعام ٨٤٤م (Praeceptum): Depreux, Préceptes, pp. 23–24. أنظر:

(Philippe Depreux)[36] فإن هذا الدافع لم يذكر إلا ابتداء من عام ٨١٥م في مراسيم لويس الورع (٨١٥، ٨١٦م) وخاصة في مراسيم شارل الأصلع (٨٤٤م).[37] ولم يصرح المرسوم الصادر في عام ٨١٢م لا حالة ضغط إسلامي أدى للهجرة ولا أي سبب آخر. لا يتحدث شارلمان في المرسوم سوى عن "الإسبانيين خاصتنا الذين أتوا من إسبانيا إلى ظل ثقتنا (fiduciam)"،[38] ولكنه يتخلى عن وصفهم بأنهم مواطنين سابقين بمنطقة ذات حكم إسلامي وكذلك عن وصف ظروفهم المعيشية السابقة. وفي حين ينطلق البحث العلمي من أن السبب المذكور ابتداء من عام ٨١٥م مسؤول عن هذه الموجات الهجرية في الفترة من ثمانينيات القرن الثامن الميلادي إلى أربعينيات القرن التاسع فإن البحث العلمي يرسم صورةً لفرار مسيحي جماعي من منطقة مضطهدة دينيا. وحدهم كزافييه جيلارد (Xavier Gillard) وفيليب سيناك (Philippe Sénac) ينفردون بالتفصيل شيئا ما بإشارتهم إلى أن عملية الهجرة المقصودة هنا حدثت بعد غزو العرب والبربر الفعلي لشبه الجيرة الإيبيرية (٧١١م) والفتح الإسلامي لمدينتي سرقسطة (٧١٤م) وبرشلونة (٧١٥م) الواقعتان في الشمال الشرقي بفترة طويلة. بالإضافة إلى ذلك فإنهم يتكهنون بأن المنطقة العازلة التي أسسها الكارولنجيون لم تصبح منطقة استيطان جذابة إلا بعد أن انتقلت أحداث الحرب في شبه الجزيرة الإيبيرية إلى الجنوب بعد استيلاء الإفرنج على برشلونة عام ٨٠١م.[39]

[١٣] لا يبدو من المقنع جدا أمام الخلفية السياسية المذكورة أن المهاجرين الذين قدموا إلى المنطقة الإفرنجية قبل المرسوم بثلاثين عاما يمكن تصنيفهم على أنهم لاجئون دينيون وأن دافع الهجرة السائد باستمرار أصبح هو الخلاف الديني بين المسلمين والمسيحيين ابتداء من فترة حكم شارلمان. لقد كانت منطقة الحدود بين مملكة الإفرنج الكارولنجية والأندلس الأموية محل صراع منذ عقود. وقد جعلت أنشطة المعارضين الأمويين هذه المنطقة الحدودية هدفا للسلطات الأموية في قرطبة بصورة أقوى، كما أنها أثارت إغراء شارلمان إلى المنطقة. لم ترجع حملته العسكرية الوضع السلمي، بل إنها أدت إلى تدمير بنبلونة (Pamplona). وهنا يجب أن نتساءل ما إذا كان الخلاف الديني بين المسيحيين والمسلمين أقل تأثيرا من الوضع الفوضوي في المنطقة الحدودية الإفرنجية الأموية الذي شجع مختلف الناس على مغادرة المنطقة في اتجاه مملكة الإفرنج،[40] التي ربما كان لها قوة جذب ما بصفتها منطقة إمبريالية كبيرة، على خلاف المعروف بالنسبة لأوائل القرن الثامن الميلادي لم تسجل طبقا لما أورده جيلارد وسيناك بخصوص الفترة بعد توغل شارلمان في شبه الجزيرة الإيبيرية حركات هجرة إلى مناطق أخرى مثل الشمال الشرقي المسيحي أو الشمال المسيحي أو إلى الجنوب الأندلسي من شبه الجزيرة الإيبيرية.[41] كما أنه من المثير للفكر ما إذا كانت شروط الاستيطان التي وعد بها شارلمان من الامتلاك السلمي للأراضي بتطويرها (aprisio) قد خلقت بعض الإغراء للهجرة. خاصة أن المرسوم يستنتج منه أن المستوطنين الإسبانيين قد حصلوا على ضمان بانتقال الأراضي التي في حيازتهم إلى ملكية خاصة يمكن توارثها بعد ثلاثين عاما. ولم يطلب منهم مقابل ذلك إلا أن يحولوا الأرض البور التي منحت لهم إلى أرض زراعية وأن يظلوا موالين للملك وأبنائه.

D'Abadal i de Vinyals, *Catalunya carolíngia*, pp. 399–416, here: pp. 412, 408: "Podem concloure, per tant, que hi hagué un capitular originari de Carlemany per als hispans refugiats; que fou promulgat probablement pels volts del 780; que en tenim bona part del text, conservat dintre els capitulars de Lluís el Piadós, de 815, i de Carles el Calb, de 844, que l'aprofitaren copiant-lo; que els capítols 6, 7, 8, 9, i 10 d'aquest darrer formen una unitat procedent d'ell amb gran fidelitat de còpia."

[36] Depreux, Préceptes, p. 23.

[37] *Constitutio de Hispanis in Francorum regnum profugus prima* (1 Jan. 815), ed. Boretius (MGH LL Capitularia regum Francorum 1), no. 132, p. 261; *Constitutio Hludowici de Hispanis secunda* (10 Feb. 816), ed. Boretius (MGH LL Capitularia regum Francorum 1), no. 133, p. 263; *Praeceptum pro Hispanis* (11 June 844), ed. Boretius (MGH LL Capitularia regum Francorum 2), no. 256, pp. 258–260.

[38] *Praeceptum pro Hispanis* (2 April 812), ed. Boretius, no. 76, p. 169: "Ispanos nostros, qui ad nostram fiduciam de Ispania venientes."

[39] Gillard and Sénac, Hispani, p. 166; Gibert Rebull, Quelques notes, pp. 170–175.

[40] König, Charlemagne's 'Jihād,' p. 23.

[41] Gillard and Sénac, Hispani, pp. 166–167.

[١٤] إن دافع شارلمان لضمانه هذه الامتيازات لم يكمن بالضرورة في رغبته في تقديم ملاذ آمن للاجئين المسيحين الفارين من الأندلس لأسباب دينية – خاصة وأن بعض الفارين لم يحتمل كونهم مسيحيين على الإطلاق. وربما كان ذكر أهل القرى (pagenses) المذكورين في مرسوم شارلمان، الذين سجلوا اعتراضا ضد الإسبانيين على امتلاك هؤلاء للأراضي المستصلحة من طرفهم، يشير إلى دوافع شارلمان، الذي أوضح في مرسومه إيضاحا تاما بأن الأراضي المرخصة للإسبانيين بامتلاكها هي أراض ملكية. إذن لقد اعتبر الملك كل الأراضي البور في جنوب غرب مملكة الإفرنج ملكية خاصة له وتصدى لكافة ادعاءات السكان المحليين (pagenses) ونخبة القوامس وحاشيتهم (comites, iuniores) بخصوص هذه الأراضي. من وجهة نظر ملكية لم يكن الأمر هنا بالضرورة هو استقبال لاجئين بدافع ديني أو إنساني، بل كان تقوية لسلطة الملك من خلال توطين مجموعة يُتوقع ولاؤها للملك بموجب امتيازات كفلها لها الملك. وقد بدأ الكارولنجيون في عصر شارل مارتل (Carolus Martellus)، جد شارلمان، (حكمه ٧١٧–٧٤١م) في ضم المنطقة إلى مملكة الإفرنج. وقد حاول شارلمان بداية من عام ٧٨١م ربط المنطقة بقوة بمملكته من خلال المُلك الثناوي للمَلِك لويس الورع. وعندما تم توسيع المنطقة إقليما في سياق التوغل في شبة الجزيرة الإيبيرية كانت دعم الشعب الموالي للملك ذا أهمية أكبر.[42]

[١٥] عندما أصدر شارلمان المرسوم في ٢ أبريل ٨١٢م كان إما قد أبرم معاهدة سلام مع الأمير الأموي الحكم الأول، المعروف أيضا باسم "أبي العاصي" (Abulaz) أو أنه كان في سياق القيام بذلك. إذن لقد كان في ذلك الوقت ينتهج سياسة التهدئة مع الأندلس الأموية.[43] يجب على هذه الخلفية أيضا بيان أن الخلاف الديني بين المسيحيين والمسلمين لم يكن له دور في المرسوم. ونتيجة لذلك يجب الإنطلاق من أن التأكيد على مثل هذا الخلاف الديني إبتداء من فترة حكم لويس الورع ينبغي أن يفسر على خلفية سياسية مختلفة في تلك الأثناء. فبعد عام من توليه الحكم أعلن لويس الورع فسخ معاهدة السلام التي كان والده قد أبرمها مع الحكم الأول، وبدا أنه اتبع خطة محددة لجعل المنطقة الحدودية الإفرنجية الإسلامية حصنا ضد الأندلس الأموية، بل وربما كذلك منطلقا لغزو الأندلس الأموية.[44]

[١٦] يبدو إجمالا أنه من غير الدقيق أن نعتقد أنه بتوغل شارلمان في شبه الجزيرة الإيبيرية في عام ٧٧٨م انطلقت فجأة موجة هجرة مسيحية منهمرة من الأندلس الأموية إلى منطقة الحكم الكارولنجي بسبب وجود خلاف ديني بين المسيحيين والمسلمين. إنه من الواضح على كل حال أن المنطقة الحدودية الإفرنجية الأموية كانت تسودها أوضاع فوضوية منذ عشرينات القرن الثامن الميلادي.[45] وقد كانت هذه الأوضاع مصبوغة بتوغل تتزايد سيطرة أكثر للكارولنجيين الذين توغلوا بهمة في منطقة الحكم الإسلامي من وراء جبال البرانس بعد عدة عقود من الغارات الإسلامية في أقطانيا وسبتمانيا، واعتمدوا هناك في البداية على التعاون مع مسلمين معارضين، وحاولوا تثبيت حكم المنطقة التي فُتحت على مدار عشرات السنين بصفتها منطقة عازلة نوعا ما. إن هجرة الإسبانيين المذكورة فيما سبق يجب أن توضع في هذا الإطار، فقد بدت الإمكانية المقدمة من شارلمان لهؤلاء في ثمانينات القرن الثامن الميلادي باستصلاح الأرض البور تحت حماية الملك وتمليكها لهم بعد ثلاثين سنة فرصة جذابة. ولأننا لم نستطع استنتاج هذا العرض إلا من

[42] Chandler, Between Court and Counts, p. 27: "the maintenance of royal and imperial power, was at the heart of the *aprisio* grant."

[43] *Annales Regni Francorum / Annales qui dicuntur Einhardi*, ed. Pertz and Kurze (MGH SS rer. Germ. 6), a. 812, p. 137: "Pax cum Abulaz rege Sarracenorum facta."

[44] لمعرفة العلاقات الأموية الكارولنجية وصورة الإسلام في عهد لويس الأول (الورع)، انظر:

König, 815: Constitutio; Sénac, *Carolingiens et al-Andalus*, pp. 87–98; Kedar, *Crusade and Mission*, pp. 7–8, 39.

[45] König, 731: Chronica muzarabica.

مرسوم صادر بعد ثلاثين عاما،[46] فإننا لا يمكننا سوى أن نخمن دوافع شارلمان والإسبانيين في ثمانينيات القرن الثامن الميلادي. كذلك لا يمكن استبعاد الاحتمال في أن الرغبة في المعيشة في ظل حكم مسيحي وعدم المعيشة في ظل حكم إسلامي كانت دافعا مشجعا على الهجرة. بالرغم من ذلك فإن من الواضح أيضا أن شارلمان كان يوعد الراغبين في الهجرة بشروط خاصة بهدف استقطاب مواطنين موالين للملك وتعزيز سلطة الملك في منطقة طرفية للسلطة الملكية. على أي حال فقد كانت ظروف الحياة في شمال شرق شبه الجزيرة الإيبيرية غير آمنة بسبب الاضطرابات الحاصلة في العقود الأخيرة بحيث كانت الهجرة المرتبطة بتملك الأراضي سلميا بتطويرها (aprisio) إلى مناطق أكثر هدوءًا تعد المستوطنين فيها بأمان أكبر وبتأمين محدود لمستقبلهم المادي.

(الترجمة: رضا حامد قطب سعد)

اصدارات المصدر وترجماته

Praeceptum pro Hispanis (2 April 812), ed. Alfred Boretius (MGH Capitularia 1), Hanover: Hahn, 1883, n. 76, p. 169.

d'Abadal i de Vinyals, Ramón: *Catalunya carolíngia: Els diplomes carolingis a Catalunya*, vol. 2, Barcelona: Institut d'Estudis Catalans, 1952, pp. 312–314.

Depreux, Philippe: Les préceptes pour les Hispani de Charlemagne, Louis le Pieux et Charles le Chauve, in: Philippe Sénac (ed.), *Aquitaine – Espagne (VIII^e^-XIII^e^ siècles)*, Poitiers: Centre d'études supérieures de civilisation médiévale, 2001, pp. 19–38, here: pp. 33–34 [French translation].

Gillard, Xavier, and Philippe Sénac: À propos de quelques Hispani, in: *Cahiers de civilisation médiévale* 186 (2004), pp. 164–165 [Latin text and French translation].

المصادر المقتبسة غير العربية

Annales Mettenses priores, ed. Bernhard von Simson (MGH SS rer. Germ. 10), Hanover: Hahn, 1905.

Annales Regni Francorum / Annales qui dicuntur Einhardi, ed. Georg Heinrich Pertz and Friedrich Kurze (MGH SS rer. Germ. 6), Hanover: Hahn, 1895.

Astronomus, *Vita Hludowici imperatoris*, ed. Ernst Tremp (MGH SS rer. Germ. 64), Hanover: Hahn, 1995, pp. 279–555.

Constitutio de Hispanis in Francorum regnum profugus prima (1 Jan. 815), ed. Alfredus Boretius (MGH LL Capitularia regum Francorum 1), Hanover: Hahn, 1883, no. 132, pp. 261–263.

Constitutio Hludowici de Hispanis secunda (10 Feb. 816), ed. Alfred Boretius (MGH LL Capitularia regum Francorum 1), Hanover: Hahn, 1883, no. 133, pp. 263–264.

Die Urkunden der Karolinger, vol. 1: *Die Urkunden Pippins, Karlmanns und Karls des Großen*, ed. Engelbert Mühlbacher (MGH DD Karol. 1), Hanover: Hahn, 1906, no. 179, pp. 241–242.

---

[46] للتكهنات حول محتوى هذا العرض وتسجيله المحتمل، أنظر: Depreux, Préceptes, pp. 23–24. استنادًا إلى وثيقة لم يعترف بها تشاندلر كنص أعاد الباحثين بناءه، يفترض تشاندلر وجود وثيقة منحت الإسبانيين امتلاك الأراضي (aprisio) في عام ٧٨٠م. انظر الهامش 35 أعلاه وأيضاً:
Chandler, Between Court and Counts, p. 25.

Ermoldus Nigellus, *Carmina*, ed. Ernst Dümmler (MGH Poetae Latini Aevi Carolini 2), Berlin: Weidmann, 1884, pp. 1–93.

Ibn Ḥayyān, *Al-Sifr al-ṯānī min kitāb al-muqtabis* [al-Muqtabis II-1], ed. Maḥmūd Makkī, Riyāḍ: Markaz al-malik Fayṣal li-l-buḥūṯ wa-l-dirāsāt al-islāmiyya, 2003.

Praeceptum pro Hispanis (11 June 844), ed. Alfred Boretius (MGH LL Capitularia regum Francorum 2), Hanover: Hahn, 1897, no. 256, pp. 258–260.

المصادر العربية المقتبسة

أخبار مجموع في فتح الأندلس، تحقيق إميليو لافْوَنْتي أَلْكَنتَرَا (Emilio Lafuente Alcántara)، مدريد: ريفادانيرا (Rivadeneyra)، ١٨٦٧ (https://www.europeana.eu/de/item/545/bib_CYL20120018372).

ابن حيّان، السفر الثاني من كتاب المقتبس (المقتبس ٢، الجزء ١)، تحقيق محمود مكّي، رياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، ٢٠٠٣.

المراجع المقتبسة والتفصيلية غير العربية

Barbero, Abilio, La integración social de los ‘hispani’ del Pirineo oriental al reino carolíngio, in: Pierre Gallais, Yves-Jean Riou (eds), *Mélanges offerts à René Crozet*, Poitiers: Sociétés d’Études médiévales, 1966, vol. 1, pp. 67–75.

Bellarbre, Julien: Aquitania, Wasconia, Hispania. Perception des territoires et des peuples frontaliers dans l’historiographie monastique aquitaine (VIII^{e}–XII^{e} siècles), in: Sébastien Gasc, Philippe Sénac, Clément Venco, Carlos Laliena (eds), *Las fronteras pirenaicas en la Edad Media (siglos VI-XV)*, Zaragoza: Prensa de la Universidad de Zaragoza, 2018, pp. 189–224.

Brunhölzl, Franz, *Geschichte der lateinischen Literatur*, vol. 1: *Von Cassiodor bis zum Ausklang der karolingischen Erneuerung*, Munich: Fink, 1996.

Chandler, Cullen J.: Between Court and Counts: Carolingian Catalonia and the aprisio Grant, 778-897, in: *Early Medieval Europe* 11 (2002), pp. 19–44.

Chandler, Cullen J.: *Carolingian Catalonia. Politics, Culture, and Identity in an Imperial Province, 778–987*, Cambridge: Cambridge University Press, 2019.

Collins, Roger: *The Arab Conquest of Spain 710–797*, Oxford: Wiley-Blackwell, 1989.

Collins, Roger: *Caliphs and Kings. Spain, 796–1031*, Malden: Wiley-Blackwell, 2012.

Dahn, Felix: *Die Könige der Germanen. Das Wesen des älthesten Königtums der germanischen Stämme und seine Geschichte bis zur Auflösung des karolingischen Reiches. Band 8, Zweite Abteilung: Die Franken unter den Karolingern*, Leipzig: Breitkopf und Härtel, 1897.

Depreux, Philippe: *Prosopographie de l’entourage de Louis le Pieux (781–840)*, Sigmaringen: Thorbecke, 1994.

Depreux, Philippe: Les préceptes pour les Hispani de Charlemagne, Louis le Pieux et Charles le Chauve, in: Philippe Sénac (ed.), Aquitaine – Espagne (VIII^{e}–XIII^{e} siècles), Poitiers: Centre d’études supérieures de civilisation médiévale, 2001, pp. 19–38.

Du Cange, Charles de Fresne, sieur: *Glossarium mediæ et infimæ latinitatis*, Niort: L. Favre, 1883–1887, lemma „Beborania“, vol. 1, col. 614a, URL: http://ducange.enc.sorbonne.fr/BEBORANIA (access 14.06.2022).

Du Cange, Charles de Fresne, sieur: *Glossarium mediæ et infimæ latinitatis*, Niort: L. Favre, 1883–1887, lemma „Saiones“, vol. 7, col. 274b, URL: http://ducange.enc.sorbonne.fr/SAIONES (access 14.06.2022).

Dunlop, D. M., Hishām I, in: *Encyclopaedia of Islam, Second Edition* 3 (1971), p. 495, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_2902 (access 14.06.2022).

Dupont, André: L'aprision et le régime aprisionnaire dans le midi de la France (fin du VIII[e]–début du X[e] siècle), in: *Le Moyen Âge* 77 (1965), pp. 179–213, 375–399.

Gauert, Adolf: Das Itinerar Karls des Großen, in: Wolfgang Braunfels (ed.), *Karl der Große. Werk und Wirkung*, Aachen: Schwann Verlag, 1965, pp. 14–18.

Gibert Rebull, Jordi: Quelques note sur la frontière de la Catalogne centrale au IXe siècle, in: Sébastien Gasc, Philippe Sénac, Clément Venco, Carlos Laliena (eds), *Las fronteras pirenaicas en la Edad Media (siglos VI-XV)*, Zaragoza: Prensa de la Universidad de Zaragoza, 2018, pp. 169–188.

Gillard, Xavier, and Philippe Sénac: À propos de quelques Hispani, in: *Cahiers de civilisation médiévale* 186 (2004), pp. 163–169.

Girgensohn, Joseph, *Prudentius und die Bertinianischen Annalen*, Riga: N. Kymmel, 1875.

Guichard Pierre, Les débuts de la piraterie andalouse en Méditerranée occidentale (798–813), in: *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée* 35 (1983), pp. 55–76.

Hen, Yitzhak: Charlemagne's Jihad, in: *Viator* 37 (2006), pp. 33–52.

Higounet Charles. L'Occupation du sol du pays entre Tarn et Garonne au Moyen Âge, in: *Annales du Midi: revue archéologique, historique et philologique de la France méridionale* 65/23 (1953), pp. 301–330.

Jarrett, Jonathan: Settling the King's Lands: aprisio in Catalonia in Perspective, in: *Early Medieval Europe* 18/3 (2010), pp. 320–342.

Kedar, Benjamin Z.: *Crusade and Mission: European Approaches to the Infidels*, Princeton: Princeton University Press, 1984.

König, Daniel G.: Charlemagne's "Jihād" Revisited. Debating the Islamic Contribution to an Epochal Change in the History of Christianization, in: *Medieval Worlds* 3 (2016), pp. 3–40.

König, Daniel G.: *Arabic-Islamic Views of the Latin West. Tracing the Emergence of Medieval Europe*, Oxford: Oxford University Press, 2015.

Lévi-Provençal, Evariste und A. Huici Miranda: Banbalūna, in: Encyclopaedia of Islam, Second Edition 1 (1986), pp. 1011–1012, DOI: http://dx.doi.org/10.1163/1573-3912_islam_SIM_1172.

Leroy, B.: Pamplona, in: *Lexikon des Mittelalters* 6 (1993), col. 1649–1650.

Lewis, Archibald Ross: *The Development of Southern French and Catalan Society, 718–1050*, Austin: University of Texas Press, 1965.

Mohr, Andreas: *Das Wissen über die Anderen. Zur Darstellung fremder Völker in den fränkischen Quellen der Karolingerzeit*, Münster: Waxmann, 2005.

Mordek, Hubert: *Bibliotheca capitularium regum Francorum manuscripta. Überlieferung und Traditionszusammenhang der fränkischen Herrschererlasse*, Munich: MGH, 1995.

Reynolds, Susan: *Fiefs and Vassals. The Medieval Evidence Reinterpreted*, Oxford: Oxford University Press, 1994.

Schilling, Alexander M.: Karl der Große in der arabischen Historiographie. Eine Spurensuche, in: Bernd Bastert (ed.), *Karl der Große in den europäischen Literaturen des Mittelalters. Konstruktion eines Mythos*, Tübingen: Niemeyer, 2004, pp. 201–221.

Sénac, Philippe: *Les Carolingiens et al-Andalus (VIII^{e}–IX^{e} siècles)*, Paris: Maisonneuve et Larose, 2002.

Sénac, Philippe: *La Frontière et les hommes (VIII^{e}–XII^{e} siècle). Le peuplement musulman au nord de l'Ebre et les débuts de la reconquete aragonaise*, Paris: Maissonneuve & Larose, 2000.

Sénac, Philippe, *Musulmans et Sarrasins dans le sud de la Gaule du VIII^{e} au XI^{e} siècle*, Paris: Sycomore, 1980.

Zimmermann, Michel: La datation des documents catalans du IX^{e} au XII^{e} siècle: un itinéraire politique, in: *Annales du Midi: revue archéologique, historique et philologique de la France méridionale* 93/154 (1981), pp. 345–375.

Zimmermann, Michel: Origines et formation d'un Etat catalan (801–1137), in: Joaquim Nadal Farreras and Philippe Wolff (eds), *Histoire de la Catalogne*, Toulouse: Privat, 1982, pp. 237–-255.